

علم الآثار الوقائي الواقع والآفاق Archéologie préventive : réalité et perspectives

د. / إيمان بوحروود

جامعة عبد الحميد مهري قسنطينة 02، العنوان الإلكتروني: imene.bouheroud@univ-constantine2.dz

د. / مراد سباطي

المركز الجامعي شريف بوشوشة أفلو، العنوان الإلكتروني: mourad.sebatti@univ-aflou.dz

الملخص:

سعت الجزائر منذ الاستقلال تأمين وتنمين مختلف ممتلكاتها الطاقوية والثقافية، ولحماية مورثها الثقافي أنجزت حفريات أثرية في مختلف ربوع الوطن، لكن هذا لم يكن كفيلا بحماية الموروث المكنوز تحت الأرض، ما جعلها تفكر في حل بديل لحمايته خاصة في ظل التطور والتنمية التي تعرفها البلاد، بعد أن خرجت من أزمة سياسية خلفت لها الدمار والآفات الاجتماعية، لتضطرم بأزمة سياسية أخرى باسم الدين والمذهب أو بما يعرف بالعرش السوداء، هذه الأخيرة التي أثرت على الأبحاث الأثرية، فعزلت عجلة الأبحاث ما حتم على السلطات القائمة على القطاع وبالتنسيق مع وزارة التعليم العالي، فتح تخصص جديد عرف بعلم الآثار الوقائي. كون هذا التخصص ذو صلة وطيدة مع أشغال التنمية والمشاريع الكبرى. عرف هذا الأخير في بعض دول العالم تقدما وتطورا ملحوظا، تعمل الجزائر على مواكبته وللتعريف به والآمال المرجوة منه، فقد ارتأينا طرح الأسئلة التالية: فما هو علم الآثار الوقائي؟ وما الواقع الذي آل إليه؟ وما هي الآفاق المرجوة منه؟

الكلمات المفتاحية: أشغال التهيئة، علم الآثار الوقائي، مشاريع، حفريات أثرية، تراث ثقافي، حفريات وقائية، حماية.

Résumé:

Depuis l'indépendance, l'Algérie a cherché à nationaliser et à valoriser ses divers atouts énergétiques et culturels. Afin de protéger son patrimoine culturel, des fouilles archéologiques ont été menées à travers le pays, mais cela n'a pas suffi à préserver le patrimoine enfoui sous terre. Cela a incité le pays à envisager une solution alternative pour le protéger, notamment au vu des progrès et du développement que connaît le pays. Après une crise politique qui a laissé derrière elle destructions et maux sociaux, le pays est entré en collision avec une autre crise politique au nom de la religion et des sectes, connue sous le nom de « Décennie Noire ». Cette dernière a affecté la recherche archéologique, entravant son développement, ce qui a contraint les autorités en charge du secteur, en coordination avec le ministère de l'Enseignement supérieur, à créer une nouvelle spécialisation : l'archéologie préventive. Étroitement liée aux travaux de développement et aux grands projets, cette spécialisation a connu des progrès et un développement remarquables dans certains pays du monde, que l'Algérie s'efforce de suivre, de faire connaître et de promouvoir, ainsi que les espoirs qu'elle suscite. Nous avons décidé de poser les questions suivantes : qu'est-ce que l'archéologie préventive ? Quelle est sa réalité ? Quelles sont les perspectives espérées ?

Mots-clés: Travaux d'aménagement, archéologie préventive, projets, fouilles archéologiques, patrimoine culturel, fouilles préventives, protection.

تسعى الدولة الجزائرية منذ استقلالها إلى حماية مواردها على اختلاف أنواعها سواء الطبيعية أو الثقافية، ما جعلها تؤمم الأولى وتضمن وتصنف الأخيرة، لكن التصنيف وحده لم يكن حلا ناجعا السبب الذي جعلها تفكر في حلول بديلة على غرار الحفريات الأثرية لمختلف المواقع الأثرية المكتشفة من قبل المستعمر وإعادة دراستها والتوسع في الأبحاث لكن هذه الحفريات لم تدم طويلا في ظل ما عرفته البلاد في فترة التسعينات من نزاع، لترى النور بعد نهاية الحرب العرقية الدامية خاصة في السنوات الخمس الأخيرة.

فوضعت استراتيجية حديثة تعرف بعلم الآثار الوقائي هذا العلم الذي يعنى بحماية التراث الثقافي المطمور وغير المكتشف المهدد من طرف أشغال التنمية المستدامة، خاصة وكما اشرنا ان البلاد خارجة من أزمة دامت عشر سنوات فشق الطرقات والتوسعة العمرانية أمر لابد منه لمواكبة العصر.

وقصد ترسيخ معالم هذا العلم الحديث في بلادنا والقديم عند الغرب سعت الجزائر جاهدة في إنجاح هذا التخصص لكنه لم يرقى الى تطلعاتها فما هو هذا العلم ؟ فيما تمثلت جهود الدولة الجزائرية قصد إنجاح هذا العلم ؟ وما هي العراقيل التي واجهت هذا العلم حتى لم يستمر ؟

وللإجابة على هذه التساؤلات حاولنا الوقوف على أهم النقاط الواجب توضيحها من مفهوم هذا العلم وأهدافه ومبادئه، كما تطرقنا الى مختلف المشاريع والاتفاقيات التي تعنى بهذا المجال، بالإضافة الى تسليط الضوء على الحفريات الوقائية التي أقيمت بساحة الشهداء، وتجسيد التجربة العلمية الأولى لعلم الآثار الوقائي بالجزائر خاصة وان هذه الحفريات استمرت حتى رأى المشروع التنموي (المحطة المركزية لميترو الجزائر) النور.

01 - مفهوم علم الآثار الوقائي :

01-01 - مفهوم علم الآثار الوقائي اصطلاحا:

هو إجراء استباقي لوقاية التراث الأثري من الأخطار توسع المشاريع التنموية على حسابه¹، وهو بذلك ليس بتخصص علمي جديد من فروع علم الآثار المتعددة، كما يمكن الاستنتاج من صياغة المصطلح "علم الآثار الوقائي" أنه ليس بمؤسسة قائمة بحد ذاتها تختص بحماية التراث الثقافي على الصعيدين الدولي أو المحلي²، وإنما هو عبارة عن إجراء استباقي تسند إليه استراتيجيات الدول في حماية تراثها الثقافي والأثري بشكل خاص، وبمفهوم أشمل هو توجه فكري حديث في مجال حماية التراث الأثري بعد مرحلة الإنقاذ مفاده لزوم تدخل الأطراف المذكورة في الأسفل³.

¹ - BOZÓKI-ERNYEY, K., 2007, p. 12.

² - بلقندوز، نادية، 2016م، ص. 71.

³ - المجلس الأوروبي، والديوان الوطني للتراث الثقافي بالمجر، وأكاديمية التراث الثقافي بلتوانيا، والمعهد الوطني لأبحاث علم الآثار الوقائي الفرنسي INRAP التي جرت وقائعها أيام 16-17-18 ديسمبر 2004م.

01-02- مفهوم علم الآثار الوقائي من خلال المشرع:

لم يرد مفهوم واضح وصريح لعلم الآثار من قبل المشرع الجزائري لكن الدولة انتهجت هذا النوع من الإجراءات لحماية التراث الثقافي مستدلة في ذلك باتفاقية (Icomos)⁴، والتي تلت أولى الجلسات سنة 1963م تاريخ القيام اللجنة الثقافية المنبثقة ساعتها عن المجلس الأوروبي بإعداد تقرير مثير حول حماية وتثمين المباني التاريخية والمواقع الأثرية والتراث الأثري بشكل خاص، والتراث الثقافي بشكل عام المهتد في وجوده على المدى القريب بأوروبا.

02 - أهمية علم الآثار الوقائي :

تكمن أهمية هذا العلم في حفاظه على التراث الثقافي المدفون والمهدد بالزوال جراء أعمال التنمية المستدامة الرامية إلى تطوير مختلف القطاعات، خاصة في ظل ما عرفته المواقع الأثرية من اندثار جراء مشروع الطريق الوطني السيار شرق غرب، حيث عرفت المواقع الأثرية أكبر جريمة في حقها خلال هذا المشروع الذي يربط شرق البلاد بغربها والذي اصطدم بالعديد من المواقع الأثرية تعرض أغلبها للتدمير ما عدى البعض منها تم انجاز حفريات إنقاذيه على مستواها تم خلالها جمع اللقى الأثرية وإنقاذ ما امكن إنقاذه في فترة وجيزة والسماح باستكمال المشروع.

03-مبادئ علم الآثار الوقائي :

لعلم الآثار الوقائي أولويات ومبادئ خاصة به والتي تعرف نقصا فادحا في بلادنا، والتي يجب اتخاذها بعين الاعتبار قصد إرساء معالمه كعلم جديد قائم بجد ذاته.

03-01- المبدأ النظري :

ضرورة إيلاء القيمة التي يستحقها التراث الثقافي وخاصة الأثري في ظل التطورات التي تعرفها بلادنا من شق الطرقات وتطوير قطاعي النقل والسكن هذه الأخطار الزاحفة والمهددة للتراث.

03-02- التشريع :

المشرع الجزائري غائب بشكل تام سواء في مجال حماية التراث الثقافي أو في جانب العقوبات فالمادة 04-98 أصبحت هشة ويجب تجديدها وفق ما تعرفه البلاد من تطورات، بالإضافة الى اعتماد الدولة على التشريع الدولي غير المطبق وغير المعمول به في بلادنا.

03-03- البناء المؤسساتي :

ضرورة خلق مؤسسات تتبنى هذا التخصص وتعمل على تمويله وتطويره في ظل الرهانات والتطور الذي عرفه عند الغرب قصد مواكبة العصر، وحماية التراث الثقافي المهتد من المشاريع التنموية.

03-04- التمويل المالي :

⁴ - Icomos, 1964.

يعتبر التمويل المالي أكبر مشكل يواجه علم الآثار بشكل عام وعلم الآثار الوقائي بشكل خاص كون هذا التخصص الجديد لم يجد هيئة تحتويه أو تتبناه كعلم أو كاستراتيجية لحماية التراث الثقافي خاصة في ظل وجود مركزين للبحث تابعين لوزارة الثقافة (المركز الوطني للبحث في علم الآثار والمركز الوطني للبحث في ما قبل التاريخ).

04- بؤادر علم الآثار الوقائي في الجزائر :

جاءت بؤادر علم الآثار الوقائي كنتيجة للتطورات الخارجية وما عرفته الساحة الدولية من اتفاقيات وشراكات قصد حماية تراثها الثقافي. ففي نوفمبر من سنة 1968م اتخذت اليونسكو مجموعة من التوصيات متعلقة للحفاظ على الممتلكات الثقافية المهددة بفعل خطر أعمال المشاريع العمومية⁵، ثم تلتها الاتفاقية الأوروبية الموقعة بتاريخ 06 ماي 1969م بلندن، هي أول اتفاقية أوروبية المتعلقة بحماية التراث الأثري بمشاركة واحد وعشرون دولة، حيث ركزت على المسؤولية لحماية التراث الأثري، الذي مهددا من خطر التدمير، وبعدها إشارة اتفاقية التراث الثقافي معرض لكل أشكال التهديد بما في ذلك المشاريع التنموية، والدعوة إلى ضرورة اعتماد مناهج واستراتيجيات من أجل حماية التراث⁶.

الاتفاقية الدولية لإدارة التراث الأثري الصادرة عن ايكوموس سنة 1990م التي اقرت ان المهدد الأكبر للتراث الثقافي هي المشاريع التنموية، لتليها اتفاقية مالطا المنعقدة بتاريخ 01 جانفي 1992م التي فتحت المجال لتحديد مبادئ تطبيق علم الآثار الوقائي وصياغة أسسه العلمية⁷.

وفي سنة 1988م تم تعيين لجنة من قبل المجلس الأوروبي سميت بـ"لجنة الخبراء المختارة التابعة للمجلس الأوروبي حول علم الآثار والتخطيط"، وتم تكليفها بمراجعة وصياغة كل ماتم الاتفاق عليه من قبل وفق ما يتماشى مع خصوصيات التراث الأثري الأوروبي، وأهم هذه الاتفاقيات اتفاقية 6 ماي 1969م المعروفة باتفاقية لندن وغير المسايرة للتحديات الجديدة لحماية التراث الأثري⁸، وكما تمت الإشارة من قبل فان اتفاقية فيلنوس المنعقدة سنة 2004م ببلتوانيا هي التي تم من خلالها وضع أسس ومبادئ علم الآثار الوقائي كسبيل لحماية التراث الثقافي من أخطار المشاريع التنموية.

05- أهداف علم الآثار الوقائي :

لعلم الآثار الوقائي هدف واضح يتجلى في حماية التراث الثقافي المكنوز تحت الأرض في ظل الزحف العمراني ومختلف المشاريع التنموية من شق الطرقات والسدود.. الخ⁹، بالإضافة الى هذا الهدف المعلن فان له اهداف خفية أهمها امتصاص البطالة التي يعاني منها الأثريين من خلال خلق مناصب عمل لهم على مستوى المؤسسات الانشائية الكبرى، والوقوف كحاجز أمام المتطاولين على التراث الثقافي من مهربين

⁵- هدراش، شريفة، 2018م، ص. 165.

⁶- إبراهيم عبد الباقي، 1968م، ص. 116.

⁷- WILLEMS, W.J.H, 2008, p. 126.

⁸- Ibid.

⁹- IMPE, L.V., 2007, p. 13.

ومستكشفون عشوائيون عن الآثار الذين يخربون الإرث الثقافي عن جهل منهم قصد تحقيق أرباح طائلة دونما أذى تعب، في مساهمة منهم في طمس الهوية وتعظيم الاستقراء للباحثين جراء تخريبهم للطبقات الستراتيغرافية وتهديم معالم ذات أهمية لا يعلمها إلا الباحثين في علم الآثار.

06- المؤتمرات والاتفاقيات وتبادل الخبرات:

كي يتكلل هذا المشروع بالنجاح عملت الدولة الجزائرية على رأسها وزارة التعليم العالي والبحث العلمي ووزارة الثقافة على عدة مشاريع وتربصات واتفاقيات دولية يمكن حصرها فيما يلي :

06-01- أشغال الورشة الأورو مغربية 2004م :

جرت فعالياتها بمدينة الجزائر العاصمة أيام 27-28-29 نوفمبر 2004م بمشاركة كل من ممثلين عن منظمة اليونيسكو، المعهد الوطني لأبحاث علم الآثار الوقائي وجامعة بول فاليري (مونييليه الفرنسية) والمركز الوطني للبحث في علم الآثار بالجزائر بالإضافة الى باحثين من إسبانيا، إيطاليا، تونس، المغرب وموريطانيا تحت شعار "التراث والتنمية الإقليمية وعلم الآثار الوقائي"¹⁰، كان الهدف منها تأكيد كل طرف رغبته في مواكبة ومسايرة مستجدات التراث الثقافي بشكل عام والأثري بشكل خاص على الصعيدين المحلي والخارجي في ظل ما تعرفه الدول من توسع عمراني وتنمية، كللت هذه الندوة بهدف رئيسي يتمثل في سبل التمكن والتحكم في استراتيجيات علم الآثار الوقائي وترسيخ معالمه بالجزائر بشكل خاص وبقيّة الدول المشاركة بشكل عام¹¹.

06-02- لقاء جامعة تلمسان الدولي سنة 2004م:

احتضنت جامعة ابي بكر بلقايد (بتلمسان) في شهر ديسمبر من سنة 2004م لقاء علميا يضم إطارا من المعهد الوطني للأبحاث في علم الآثار الوقائي، وأساتذة وباحثين عن جامعة بول فاليري (مونييليه الفرنسية) وممثلين عن السفارة الفرنسية بالجزائر، والأسرة الجامعية بتلمسان طلبة وأساتذة ومسؤولين إداريين، أسفرت عن خلق اتفاقية وتوقيعها بين جامعة جامعة ابي بكر بلقايد من جهة والمعهد الوطني للأبحاث في علم الآثار الوقائي من جهة أخرى، تنص على التعاون بين الطرفين في اطار تكوين أساتذة وطلبة قسم علم الآثار لمدة ثلاث سنوات (2007م-2010م).

06-03- تربص إطارا وزارة الثقافة الجزائرية بفرنسا :

جاء هذا التربص في ظل اتفاقية بين "وزارة الثقافة الجزائرية" و"قاعدة مابين الجهات" بنيم الفرنسية استفادة منه إطارا "الوكالة الوطنية للآثار وحماية المواقع والمعالم التاريخية" (سابقا) ونظرائهم في "الإدارة المركزية بوزارة الثقافة الجزائرية" عام 2007م بجنوب فرنسا، حيث تلقوا تكوينا نظريا وتدريب ميداني لمدة شهر كامل على مستوى قاعدة بين الجهات بنيم (Nimes)¹².

¹⁰ - SOUQ, F., 2005, pp. 81-83.

¹¹ - Ibid, pp. 81-85.

¹² - MAAROUF, B.; CHERGUI, R., 2006/2007.

06-04- تربص أساتذة جامعة تلمسان بفرنسا:

في نفس الاتفاقية المذكورة أعلاه ونفس المكان تلقى استاذين من قسم الآثار جامعة تلمسان تكوينا ودورة تدريبية خاصة، امتدت بين 27 مارس و25 أبريل 2007م، تلقيا من خلالها أساسيات علم الآثار الوقائي¹³.

06-05- استضافة إيطارات (INRAP) لتأطير طلبة علم الآثار بتلمسان :

في إطار اتفاقية ثنائية بين جامعة تلمسان وقاعدة البيانات بين الجهات تمت دعوة فريق مكون من ثلاث إيطارات من المعهد الوطني لأبحاث علم الآثار الوقائي قصد تقديم تكوين لطلبة قسم الآثار بجامعة تلمسان لمدة خمسة عشر يوما من تاريخ 15 الى 29 مارس من سنة 2007م.

06-06- فتح تخصص جديد بالجامعة الجزائرية يعرف بعلم الآثار الوقائي :

نتيجة لمختلف الورشات واللقاءات التي تمت داخل الوطن وخارجه، تم دمج تخصص علم الآثار الوقائي كتخصص فرعي ضمن التخصصات الفرعية لشعبة علم الآثار في كل من جامعتي تلمسان في قسم علم الآثار وجامعة الجزائر 02 بمعهد الآثار، لكن هذا الأخير الوحيد الذي تخرجت منه دفعة مكونة من ثمانية دكاترة ضمن هذا التخصص، وفي ضمن إستراتيجية توحيد التخصصات وموائمتها من طرف وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، تم الإبقاء على أربع تخصصات في علم الآثار، ويتعلق الأمر بتخصص آثار ما قبل التاريخ، والآثار القديمة، والآثار الإسلامية، والصيانة والترميم، هذه الأخيرة التي تم استحداث مدرسة خاصة بها تعرف بالمدرسة الوطنية للصيانة الممتلكات الثقافية.

07- دور المعهد الوطني للأبحاث الأثرية الوقائية بفرنسا في تثبيت رواسي هذا العلم :

لعب المعهد الوطني للأبحاث الأثرية الوقائية بفرنسا دور هاما في إرساء معالم هذا التخصص الحديث كونه الرائد في مجال علم الآثار الوقائي بأوروبا وفي العالم¹⁴، ويتجلى دوره في مختلف التشخيصات الوقائية التي قام بها بالتعاون مع الوزارة الوصية (وزارة الثقافة) والحفريات الوقائية بساحة الشهداء التي اماطت اللثام عن جزء من تاريخ القصبة السفلى ومدينة ايكوزيوم الجزائر العاصمة من جهة أخرى، هذه الحفريات التي تعتبر جزءا من ديناميكية توفق بين اكتشاف وصيانة وتثمين التراث من جهة ومتطلبات التنمية الاقتصادية في الجزائر من جهة أخرى¹⁵، خاصة في ضل الأهمية التي تكتسيها هذه المحطة لسكان العاصمة أو زوارها.

08- التشخيصات الوقائية بالجزائر :

تمت هذه العملية من خلال تشخيصين أجري الأول على مستوى المحطة المركزية الحالية لساحة الشهداء بالعاصمة على مرحلتين الأولى سنة 2007م، والثانية سنة 2009م، أما التشخيص الثاني فتم بداية سنة

¹³- الفيلالي جازية، 2011م، ص. 31.

¹⁴- الفيلالي جازية، 2016م، ص. 83.

¹⁵- فتيحة تركريت، بابا عبد الرزاق، 2021م، ص. 722.

2010 بقلعة المشور بتلمسان في إطار تهيئة المعالم التاريخية للتحضير لاحتضان تلمسان تظاهرة تلمسان عاصمة الثقافة الإسلامية لسنة 2011م.

08-01- ساحة الشهداء (محطة الميترو حاليا) بالعاصمة :

تم هذا التشخيص من قبل فريق مزدوج جمع بين خبراء جزائريين ونظرائهم من المعهد الوطني لعلم الآثار الوقائي بفرنسا، نتج عنه اكتشافات في منهي الأهمية أبرمت على إثرها اتفاقية بين وزارة الثقافة والمعهد السالف الذكر، كللت بحفريات وقائية اكتشف على إثرها معالم تعود لمختلف الحضارات التي مرت بالشبه جزيرة الجزائر.

08-02- قلعة المشور بتلمسان :

أجري هذا التشخيص على يد إدارات جزائرية بإشراف مفتش مركزي بوزارة الثقافة في نهاية 2009م واستمرت الى غاية شهر فيفري من سنة 2010م¹⁶، تم هذا التشخيص على مستوى الفناء المركزي للمستشفى العسكري الاستعماري (الثكنة العسكرية سابقا) اسفر عن اكتشاف أحواض مائية ذات البلاطات الخزفية الملونة تم ترميم فيما بعد ما حولها ضمن ما يعرف حاليا "بالقصر الملكي"¹⁷.

09- الحفريات الأثرية الوقائية بالجزائر:

09-01- موقع ماركادال بشرشال :

يندرج ضمن مشروع تجريبي على الصعيد المحلي الموسوم "بعلم الآثار والتراث انقاذ شرشال " في اطار مشترك بين الوكالة الوطنية للآثار وحماية المعالم والنصب التاريخية التي تم غلقها سنة 2005م، وتعويضها بالديوان الوطني لتسيير الممتلكات الثقافية المحمية واستغلالها¹⁸، والمعهد الوطني الفرنسي للبحث في علم الآثار الوقائي، الهدف منه اجراء تشخيص واسبار أثرية بموقع ماركادال بمدينة شرشال الساحلية، بالإضافة الى الاستفادة من الخبرة الفرنسية الرائدة في هذا المجال.

09-02- شبه جزيرة لالاهام بالقصبة السفلى (الجزائر العاصمة) :

خلال انطلاق مشروع تشييد مركز تجاري يتكون من أربع طوابق وعلى مساحة تقدر بـ 4775م² ببلدية وادي قريش، بالمكان المسمى بالقصبة السفلى لمدينة الجزائر العاصمة، والتي تعتبر ضمن القطاعات المحفوظة للعاصمة، تم الاصطدام بمكتشفات أثرية، أجريت على إثرها أسبار أثرية أسفرت عن اكتشاف جزيرة لالاهام وساحة الأيالة (للفترة العثمانية) ومقتنيات أثرية معتبرة حيث تمت هذه العملية من قبل فريق مزدوج من باحثين جزائريين وباحثين فرنسيين قاموا بإجراء بتحليل مخبرية للقي وتلاها تقرير علمي مفصل عن سيرورة العملية ثم السماح للمستثمر استكمال مشروعة متقاديا للموقع الأثري الذي يكتسي أهمية لتاريخ العاصمة¹⁹.

09-03- حفريات ساحة الشهداء بالعاصمة :

¹⁶- الفيلاي، جازية، 2018م، ص. 157.

¹⁷- MAAROUF, B.; CHERGUI, R., 2006/2007.

¹⁸- الجريدة الرسمية للجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية مجلد 2005.

¹⁹- مصلحة الأرشيف لبلدية وادي قريش.

خلال أعمال تمديد خط ميترو الجزائر وفي المكان المحدد للمحطة المركزية ونهاية الخط بالمكان المسمى ساحة الشهداء اصطدم العمال بمكتشفات أثرية ومعالم تاريخية مهمة، ما استدعى توقيف الأعمال من قبل الوزارة الوصية والشركة المكلفة بالمشروع شركة ميترو الجزائر التابع لوزارة النقل قام فريق من المختصين في علم الآثار من المركز الوطني للبحث في علم الآثار وبالشراكة مع المعهد الوطني الفرنسي لعلم الآثار الوقائي بإنجاز اسبار أثرية حددت من خلالها الفترات التاريخية للموقع والحدود المكانية للموقع على مساحة قدرت بـ 3000م² أنجزت الحفريات بالتوازي في الفترة الممتدة من سنة 2013م الى غاية 2015م²⁰، واعتبرت هذه الحفريات تحديا للآثاريين كونها تمت وسط أكبر تجمع عمراني بالعاصمة.

10- معيقات علم الآثار الوقائي بالجزائر :

- على غرار باقي العلوم يواجه علم الآثار الوقائي مجموعة من العراقيل نلخصها فيما يلي :
- **مشكل التمويل:** تحتاج عملية بحث أثري الى تمويل يضمن أبسط حقوق للعاملين بالحفريات من معدات ومبيت ومأكل
- **الهشاشة القانونية:** في ظل غياب قانون يحدد مهام ودور علم الآثار الوقائي لا يمكن انتهاج هذا النوع من العلوم وإرساء معالمه الأساسية.
- **اللقى الأثرية :** في ظل غياب المؤسسة المحتضنة لهذا التخصص فاللقى الأثرية المستخرجة من هكذا نوع من حفريات تلقى الإهمال والضياع في أغلب الأحيان ،فريق البحث مهمته الحفر واستخراج اللقى الأثرية وتسليمها للمصالح الوصية مرفقة بتقرير عن العمل المنجز ،و التي في أغلب الأحيان هي مديريات الثقافة التي لا تملك مكان مخصص لتخزين هاته المكتشفات بالإضافة الى صعوبة إدخالها للمتاحف دون دراستها من قبل المختصين الذين يعطونها قيمة علمية بالإضافة الى قيمتها الأصلية كلقى أثرية.
- **الجودة العلمية :** تكمن مشكلتها في كون الحفريات الأثرية مضبوطة بمدة زمنية، ومقرونة في نفس الوقت بالمشروع المزمع إنجازها ما يجعل الباحثين أمام مشكل السرعة في وتيرة أعمال الحفر والإسراع في الاستقراء والاستنباط، هذه السرعة في الاستقراء عادة ما يتخللها بعض الأخطاء أو الهفوات الغير مقصودة من فريق البحث والتي يمكن أن تغير معطيات أثرية.
- **اندثار وتلاشي مواقع أثرية :** خاصة تلك الواقعة في أماكن غير خاضعة للرقابة ما يجعل الشركة المنجزة للمشروع لا تصرح بالمكتشفات الأثرية حتى لا يتوقف المشروع ويسلم المشروع في آجاله، كما أن قانون الشفعة والمقصود به ارجاء الحق العام على الخاص أيضا يطبق في هكذا نوع من الحفريات كون قيمة المشروع بالنسبة للتنمية تحدد الإبقاء على الموقع أو تخريبه وفي أغلب الأحيان يتخذ قرار استكمال المشروع على حساب الموقع الأثري.

11- الواقع الذي آل اليه علم الآثار الوقائي بالجزائر :

²⁰ - STITI, K.; SOUQ, F., Rapport préliminaire, ...

- غياب التشريع الذي يرسى معالم هذا التخصص في الجزائر على الرغم مما تعرفه من تنمية مستدامة ومشاريع كبرى.
- عدم خلق مؤسسة تتبنى هذا التخصص وتخلق مناصب شغل وتحمي التراث الثقافي المكنوز في نفس الوقت.
- غلق التخصص في ظل قانون الموائمة التخصصات المنتهج من طرف وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
- أغلب طلبة تخصص علم الآثار الوقائي المتخرجون يعانون شبح البطالة، ما عدى من أنهى تكوينه في طور الثالث دكتوراه وعددهم على الأصابع.
- استحوذ المركز الوطني للبحث في علم الآثار على كل الحفريات الإنقاذية أو الوقائية.

الخاتمة :

تسعى الدولة الجزائرية جاهدة لتأمين وحماية المواقع الأثرية ولاسيما المواقع التي ما زالت مكتنزة تحت الأرض وتمثل قيمة استثنائية للبشرية، ما جعلها تفكر في خلق إستراتيجية جديدة قصد تثمين هذا الإرث والحفاظ عليه بغرض إيصاله للأجيال اللاحقة عرفت هذه الإستراتيجية بعلم الآثار الوقائي، هذا العلم الحديث المرتبط أساسا بأعمال التنمية والتوسعة العمرانية، لكن هذا العلم وعلى الرغم من الأهمية التي يكتسبها إلا أنه لم يرقى إلى مستوى تطلعات السلطات الجزائرية في ظل ما واجهه من عراقيل أهمها القانونية والتمويلية.

قائمة المراجع:

1. إبراهيم عبد الباقي، 1968م، التراث الحضاري في المدينة العربية المعاصرة، الكويت.
2. الجريدة الرسمية للجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية مجلد 2005.
3. الفيلاي جازية، 2016م، "تجربة الجزائر في الحفريات الوقائية"، مجلة الدراسات الأثرية، 14، 01، ص ص 81-92.
4. الفيلاي، جازية، 2011م، علم الآثار الوقائي في الجزائر دراسة تحليلية لبوادره التمهيدية، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في تخصص علم الآثار الوقائي غير منشورة، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان.
5. الفيلاي، جازية، 2018م، "استراتيجية علم الآثار الوقائي بالجزائر (بوادره التمهيدية دراسة تقييمية)"، مجلة منبر التراث الاثري، 7، 1، ص ص 151-161. = <https://asjp.cerist.dz/en/article/62525>

6. بلقندوز نادية، 2016م، علم الآثار الوقائي مفهومه وتوجيهاته، مجلة الدراسات الأثرية مجلد 14، عدد 01، ص. 71.
7. تزكريت، فتيحة؛ بابا، عبد الرزاق، 2021م، "علم الآثار الوقائي بين حماية التراث الأثري واستمرارية التنمية دراسة حالة الحفريات الوقائية ساحة الشهداء"، المجلة الجزائرية للأمن والتنمية، 10، 01، 2021م، ص ص. 736-719.
8. مصلحة الأرشيف لبلدية وادي قريش.
9. هدراش شريفة، 2018م، استراتيجية علم الآثار الوقائي بعد خمسة وعشرين سنة من التطبيق -دراسة تحليلية -، مجلة منبر التراث الأثري، 7، 1، ص ص. 174-163. = <https://asjp.cerist.dz/en/article/62526>
10. BOZÓKI-ERNYEY, K., Préface, in European preventive Archaeology, Papers of EPAC meeting, Vilnius, 2004, 2007, pp. 11-12.
11. ICOMOS, La charte internationale sur la conservation et la restauration des monuments et des sites (La charte de Venise) – 1964.= <https://www.icomos.org/fr/charte-et-textes-doctrinaux/>
12. IMPE, L.V., 2007, «PREVENTIVE ARCHAEOLOGY IN FLANDERS (BELGIUM)», in European preventive Archaeology, Papers of EPAC meeting, Vilnius, 2004, 2007, pp. 13-18.
13. MAAROUF, B.; CHERGUI, R., 2006/2007, Rapport final sur un stage de formation en Archéologie préventive (INRAP) à Montpellier, France.
14. SOUQ, F., 2005, «Rapport d'expertise du projet d'évaluation archéologique : ilot Lalahoum (Icosium)», in Atelier euro-maghrébin, Patrimoine et aménagement du territoire, l'archéologie préventive, 26-30/11/2004, Alger, pp. 81-85.
15. STITI, K.; SOUQ, F., Rapport préliminaire, stabilisation des données de la zone de puits nord (zones 04-05), Algérie :Ministère de la culture d'Algérie et INRAP Méditerranée.
16. WILLEMS, W.J.H, 2008, «Sur la genèse de la convention de Malte», in archéopages archéologie et société, pp. 126-129. = <https://journals.openedition.org/archeopages/888>